مقدمة

بفضل الله تعالى وتوفيقه صنَّف هذا العبد الفقير إلى الله حتى الآن ثمانية كتب ما بين صغيرة وكبيرة عن سيرة المصطفى ﷺ، منها أربعة لقيت شهرةً أكبر وأوسع وهي:

1. The Beautiful Life of Muhammad (PBUH).
2. Muhammad (PBUH) the Sublime Messenger.
٣. سيرة رسول الرحمة ﷺ.
٤. ثلاثة وعشرون ميزة قيادية لرسول الرحمة ﷺ.

وبعد الفراغ من تأليف هذه الكتب قلت لأبنائي: «أودُّ أن أكتب المزيد عن سيرة رسول الرحمة ﷺ؛ لهذا اقترحوا عليَّ عنوانًا في هذا الخصوص أكتب فيه، بحيث تكون له حاجة في القرن الحادي والعشرين بعامة، وفي بلاد الغرب المتقدم بخاصة».

وهكذا تشاور أبنائي فيما بينهم، واقترحوا عليَّ عدة عناوين أختار من بينها ما يصلح لأن أؤلف فيه كتابًا، والحقيقة أن العناوين التي اقترحوها أعجبتني كلها، ووقع الاختيار على العنوان الذي قررت أن أبدأ الكتابة فيه وهو:

حياة رسول الرحمة ﷺ الشخصية

The Personal Life of the Holy Prophet (PBUH)

وسوف أتحدث بمشيئة الله تعالى في هذا الكتاب في مقدمة خاصة عن بعض أحوال حياة رسول الرحمة ﷺ فيما قبل حياة عالم الأجساد، وعن وجوده المبارك في عالم الأرواح، أو وجوده النوراني، إلى أن أصل إلى ولادته ﷺ في هذه الدنيا، وبعدها سأتحدث عن حياته ﷺ الخاصة في عالم الأجساد.

والحقيقة أنّ هناك جانبين لحياة كل إنسان في هذه الدنيا، أحدهما يتعلق بحياته الخاصة، والآخر بحياته العامة، ويمكن تقسيم هذه الحياة العامة والخاصة إلى ثلاث مراحل:

١ـ مرحلة الطفولة والصِّبا:

في هذه المرحلة يكون الأبوان هما اللذين يقودان الأسرة ويرعيانها، ويكون شهود العيان على حياته الخاصة في هذه المرحلة هم أبويه وَلِيَّي أمره، وإخوته وأخواته، كما يكون زملاؤه في المدرسة هم شهود العيان على حياته العامة في هذه المرحلة أيضًا.

٢ـ مرحلة الشباب والحياة الأسرية:

في هذه المرحلة يكون الإنسان مسؤولًا عن بيته وراعيًا له بنفسه، ويكون شهود العيان على حياته الخاصة في هذه المرحلة هم زوجته وأولاده، بينما يكون أقرباؤه ورفاقه في العمل وأصدقاؤه وأحبابه هم شهود العيان على حياته العامة في هذه المرحلة أيضًا.

٣ـ مرحلة القيادة:

لـو كان هذا الشـخص محل الحديـث يتمتع ببصيرةٍ ثاقبـة، وحكمةٍ نافذة بشـكل غيـر عادي، وأُتيح له أن يكـون قائدًا أو زعيمًا؛ فإن شـهود العيان على حياته الخاصة سـيكونون زوجتَه وأولاده أيضًا، بينما تتسـع دائرة شهود العيان علـى حياته العامة في هذه المرحلة، وسـوف تشـتمل هذه الدائـرة على أتباعه المُقتدِين به، الذين تقع على عاتقه مسؤولية تعليمهم وتربيتهم وقيادتهم، جنبًا إلى جنب مع أقربائه وزملائه في العمل وأصدقائه وأحبابه.

وقـد قَسَّـمتُ حياة رسـول الرحمـة ﷺ الخاصة والعامة في هـذا الكتاب إلى ثلاث مراحل أيضًا، وهي: مرحلة تضم طفولته وصباه ﷺ، ومرحلة تضم شـبابه حتـى إعلان نبوته، ومرحلة تضم نبوته حتـى انتقاله إلى الرفيق الأعلى. وبالتالي سيشتمل هذا الكتاب على ستة أبواب:

الباب الأول: حياة رسول الرحمة ﷺ الخاصة في طفولته وصباه.

الباب الثاني: حياة رسول الرحمة ﷺ العامة في طفولته وصباه.

الباب الثالث: حياة رسول الرحمة ﷺ الخاصة في شبابه حتى إعلان نبوته.

الباب الرابع: حياة رسول الرحمة ﷺ العامة في شبابه حتى إعلان نبوته.

البـاب الخامس: حياة رسـول الرحمة ﷺ الخاصـة منذ إعلان نبوته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

البـاب السـادس: حياة رسـول الرحمـة ﷺ العامة منذ إعـلان نبوته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وبصفة عامة بعد أن يصبح الشخص قائدًا يصبح من المُيسَّر عادةً العثورُ على أحوال حياته العامة، التي يكون أبرز ما فيها هو ذكر نجاحاتِه وكفاءته وبيان إنجازاته وخدماته، لكن تقلُّ المعلومات التي يمكن العثور عليها فيما يتعلَّق بحياته الشخصية أو الخاصة، وربما يكون من بين أسباب ذلك أن هذا القائد أو الزعيم عمل على ألّا يُظهِر عيوبه أو الجوانب السلبية في حياته، وسبب آخَر هو أن أتباعه ومُحبِّيه عملوا على إبراز ميزاته والجوانب الإيجابية فقط في حياته، لكن على مستوى القادة في التاريخ الإنساني فإن الأمر عكس ذلك تمامًا فيما يتعلَّق بالحياة الخاصة لنبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، فحياتُه ﷺ الخاصة والعامة في المراحل الثلاث كلها؛ في طفولته وصباه وشبابه ونبوته وقيادته واضحة وضوح الشمس في وسط النهار، لكن أحوال حياته في هذه المراحل مجتمعةً لا نكاد نراها في كتاب واحد، ولهذا حاولتُ أنا في حدود معلوماتي المتواضعة نَظم هذه الجواهر واللآلئ المتناثرة في عِقد واحدٍ، وجمع هذه الدُرود المتفرقة في رياضِ الكتب في شكل باقة واحدة، وهو ما ستُطالعه أنت أيها القارئ الكريم في هذا الكتاب الذي بين يديك، ولكن بشكل فوري أرجو أن تتأمَّل هاتَين الآيتَين من آيات القرآن الكريم اللتَين قال فيهما الله تعالى عن حياته ﷺ الخاصة والعامة بكل جوانبها وقبل إعلان النبوة وبعدها كذلك: إنها أعظم نموذج للحياة وأفضل قدوة يمكن الاقتداء بها، يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ أي: القدوة العظمى في حياته ﷺ.

وحين اعترض أهل مكة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، قدَّم القرآن الكريم الدليل على صدقه استشهادًا بحياة رسول الرحمة ﷺ بين ظهرانَيهم

فقال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]؛ إشارةً إلى الأربعين سنةً قبل البعثة النبوية، بمعنى أنني وُلدت بينَكم، وقضيتُ من حياتي أربعين سنةً معَكم قبل أن أُبعَث نبيًّا، وأنتم تشهَدون على صدقي وأمانتي خلال هذه الفترة الطويلة، وبالتالي فإنّ مَن لم يكذب على أحد ـ والعياذ بالله ـ ولو مرةً واحدةً طوال أربعين عامًا، كيف يُعقَل أن يكذب فيما يتعلَّق بكلام الله تعالى؟

ومن الواجب عليَّ هنا أتقدَّم بوافر الشكر إلى سيدنا العلامة «محمد دين سيالوي» على تفضُّله بقراءة مُسوَّدة هذا الكتاب، وإسداء مشوراته القيمة لي بخصوصه.

الفقير إلى الله

محمد إمداد حسين بن زاده

مؤسس ورئيس جامعة الكرم، بريطانيا